# من هو بوصيری العصر الحديث؟

تاريخ الوصول: ۱۳۹۰/۷/۶هـ . ش
تاريخ القبول: ۱۳۹۰/۸/۲۸هـ . ش

رقية تقوى فردود*

## الملخص

قال الله تعالى: ﴿النبی أولی بالمؤمنين من أنفسهم﴾ لهذا فرض علی المسلمين تكريم النبی صلی الله عليه وآله وسلم، خاصة فی عصرنا هذا، لنطمس علی الهجمة الجاهلية للعصر الراهن، فعليه يريد هذا المقال أن يقدم شاعراً معاصراً يلقّب ببوصيری عصره، حيث يختص أكثر آثاره بفكرة نشر الدين الإسلامی، ومدح النبیّ صلی الله عليه وآله وسلم. وهذا دراسة لعدد من آثاره حول مدح النبی صلی الله عليه وآله وسلم، لأنّ الباحثة تظنّ أن كثيراً من الكتّاب لايهتمون بهذا النوع من الشعر اهتماماً بالغاً، سائلة المولی عزّ وجلّ أن يجعل هذه الوجيزة نافعة للقراء الكرام.

**الكلمات الدليلية:** يوسف ابن إسماعيل النبهانی، مدح النبی (ص)، الموشح.

*. طالبة فی مرحلة الدكتوراه بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات بطهران، ايران.
taghavi2009@yahoo.com

## المقدمة

يوسف بن إسماعيل النبهانى، الملقّب ببوصيرى عصره (١٣٥٠-١٢٦٥ه / -١٨٤٩ ١٩٣٢م) أديب، وشاعر، وصوفى من القضاة، ترجع نسبته إلى بنى نبهان من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية إجزم التابعة لحيفا فى شمال فلسطين، وفى هذه القرية ولد يوسف ونشأ وتوفّى. بعد أن تعلّم بالأزهر واسطنبول، تنقّل فى أعمال القضاء، ورحل إلى القسطنطينية، وعُيِّن قاضياً بكوى سنجق من أعمال ولاية الموصل، فرئيساً لمحكمة الجزاء باللاذقية، ثمّ بالقدس، فرئيساً لمحكمة الحقوق ببيروت، وسافر إلى المدينة، وبعد أن نشبت الحرب العالمية الأولى، عاد إلى مسقط رأسه إجزم، وتوفّى بها فى ٢٩ من رمضان.

## نتاجاته

من تصانيفه الكثيرة: الشرف المؤبد لآل محمّد، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، أفضل الصلوات على سيد السادات، الأنوار المحمّدية، مختصر المواهب اللدنية، النظم البديع فى مولد الشفيع، طيبة الغراء فى مدح سيّد الأنبياء مع حاشيتها، الأحاديث الأربعين من أمثال أفصح العالمين، سعادة المعاد فى موازنة بانت سعاد، حجة الله على العالمين فى معجزات سيّد المرسلين، خلاصة الكلام فى ترجيح دين الإسلام، سعادة الدارين فى الصلاة على سيّد الكونين، رسالة فى مثال النعل الشريف، صلوات الثناء على سيّد الأنبياء، قصيدة القول الحق فى مدح سيّد الخلق، هادى المريد إلى طرق الأسانيد، قصائد السابقات الجياد فى مدح سيد العباد، جامع الصلوات ومجمع السعادات، الفضائل المحمّدية، الورد الشافى مختصر الحصن الحصين، المزدوجة الغراء فى الاستغاثة بأسماء الله الحسنى، الصلوات الألفية فى الكمالات المحمدية، رياض الجنة فى أذكار الكتاب والسنة، الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى، المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية مع حاشيتها، الخلاصة الوفية فى رجال المجموعة النبهانية، ومعجم الشيوخ. (النبهانى، ١٣٢٠ق، ج٤: ٤٧١؛ الزركلى، ج٨: ٢١٨؛ كحالة، ١٩٩٣م، ج٤: ١٤٥؛ درنيقه، ١٩٩٦م: ٤٤٧-٤٤٤) وكما نرى كان أكثر هم الشاعر فى إحياء سنّة النبى الأكرم صلى الله عليه

وآله وسلم، وفی الترمذی عن أنس عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم: «مَن أحیَی سُنَّتی فَقَد أحبَّنی ومَن أحبّنی کان معی فی الجنة.» وعن أبن عطاءٍ: «مَن ألزمَ نَفسَهُ آدابَ السُّنَّة نَوّرَ الله قلبَهُ بنور المعرفةِ ولا مقامَ أشرفُ مِن مقام متابعة الحبیب فی أوامِرِهِ ونواهیة وأفعاله وأخلاقه.» (النبهانی، ۱۳۱۲ق: ۴۱۵)

یوسف النبهانی، قد تأثّر من الشعراء الأقدمین خاصّةً فی مدح الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم وله قصیدة مطوّلة علی غرار «بانت سعاد» وسمّاها «سعادة المعاد فی موازنة بانت سعاد» مطلعها (من البسیط):

هوایَ طیبة لابیضاء عُطبولُ ومُنیتِی عینُها الزرقاءُ لا النیلُ

ویبیّنُ قصور الشعراء فی مدیحِهِ صلی الله علیه وآله وسلم (من البسیط):

خاضوا بمدحِکَ هذا البحرَ ما بَلَغُوا کعباً فعادوا لَهم بالعجز تخجیلُ

لکِن لِکَعبِکَ یا خیرَ الأنام علی رُؤُوسنا ثابتُ فضلٍ وتفضیلُ

علیک أزکی صلاةِ الله وهی لنا مسکُ الختامِ بها للخَیرِ تکمیلُ

ولَهُ تخمیسٌ طویلٌ، جاء فیه (من الخفیف):

سیّد الرسل قدرُهُ معلومُ أینَ منه المسیحُ أین الکلیمُ

أین نوحٌ وأین إبراهیمُ کُـــــلّهُم عن مقامِهِ مفطومُ

فَعلیهِ الصلاةُ والتسلیمُ

أین جبریلُ أینَ إسرافیلُ أینَ میکالُ أینَ عزرائیلُ

فــعلیهِم طُرّاً له التفضیلُ وبمعراجِهِ دلیلٌ قـــویمُ

فعلیه الصلاةُ والتسلیمُ

أینَ کُلُّ العَوالِـــم العُلْویَّهْ أینَ کُلُّ العَوالِمِ السفلیهْ

أینَ کُلُّ الوَرَی بِکَلٍّ مَزیَّهْ إنَّـما فوقَهُ العلیُّ العظیمُ

فعلیهِ الصلاةُ والتسلیمُ

(النبهانی،۱۳۱۲ق: ۳)

والمدیح النبوی یکون غرضاً لایکادُ یخلو منه شعر شاعرٍ؛ لأنَّهُ صار لوناً من التعبیر عن العواطف الإیمانیّةِ، وباباً مِن الأدب الرفیع، یصدُرُ عن قلوبٍ مفعَمةٍ بالصدقِ

والإخلاصِ. وقد توالت أشعارُ المسلمين فى النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فى شتّى العصور، من العصر الإسلامى الأوّل، الأموى، العبّاسى، والدويلات وحتى العصر الحديث. وأصبحنا نجدُ فى العصور المختلفة بعد الإسلام، نزعةً عارمةً عند الشعراء للتغنّى بشخصيّة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، والتعريف بسجاياهُ وفضائله الحميدة، باعتباره المثل الأعلى، والإنسان الكامل، وأفضل الخَلقِ، ورسول الله تعالى، الذى بعثهُ رحمةً للعالمين، ومنقذاً وهادياً للإنسانيّةِ جمعاء.

ليوسف بن إسماعيل النبهانى ثلاث موشحاتٍ فى مدح النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قد جاء بها فى آخِر كتابه ''المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية'' بعد عن جمع فيه موشحات سائر الشعراء فى آخر هذا الكتاب. وفى هذه المقالة تم اختيار إحدى، موشحاته لقلّة حجمه ووضوح ألفاظه وجزالته، حتى نبحث عنها بإذن الله تعالى، راجية أن تكون مقبولاً عند قرائنا الأعزاء، فهى لاميّته التى أنشدها معارضاً لموشحة أبى عبيد التى مطلعها:

لـــذَّ لِى مَدحُ النبّى المصطفى المُرسلِ
فَأجتَلِى عَرائساً مِن مَـــــدحِهِ تنجَلِى

(النبهانى، ج۴: ۴۲۵)

جديرٌ بالذكر أنّ موشحة يوسف بن إسماعيل النبهانى، موشحة تامّة، لأنَّها تبدأ بالقفل أو المطلع وكل بيتٍ فيه يتشكل من دورٍ، ذى ثلاثة أغصان وقفل ذى سمطين، وتكون الموشحة فى بحر السريع مع حذف مستفعلين، مطلعها:

إرْوِ لى مَـــــدْحَ النبى الخَاتم الأوَّلِ
واجْلُ لِى كَأسَ الصّفا مِنْ حُبهِ قَدْ مُلِى
قَدْ عَلا حَتى رَقَى السبْعَ الطّبَاقَ العُلاَ
وَانْجَلَى لَهُ مَقَـــــامُ القُرْبِ فَوْقَ المَلاَ
وَاعْتَلَى بِرُوحِهِ والجِسْمِ حَتى اجْتلَى
وَالْعَلِى قَـدْ خَصَّه بِكُلَ وَصْفٍ عَلِى
إذْ وَلِى مِـنْ نَظَرِ التَّقْدِيسِ مَا قَدْ وَلِى

الأمِينْ أَحْجَمَ عَنْ صُحْبَةِ طـهَ الأمِينْ
وَالمُعِينْ صَاحَبَهُ حَيْثُ انْقِطَـاعُ القَـرِينْ
لاتَمِينْ إنْ قُلْتَ هذَا سَيِّـدُ الْعَـالَمِينْ
أجْمِلِ فِى حَقِّهِ الْأَمْـــدَاحَ أوفَصِّلِ
لاتَلِى بِالْمَدْحِ مِنْهُ حَبَّةَ الْخَـــرْدَلِ
مَنْ سَمَا غَيْرُ أبِى الزهراءِ فَـوْقَ السَّمَا
وَانْتَمَى لِـرُؤيَةِ الحَـــقِّ بطَرْفٍ نَمَا
إذْ هَمَى عَلَيْهِ مِنْ سُحْبِ الرِّضَا مَا هَمَى
أمْلِ لِى فَمَدْحُ خَيْرِ الخَلْقِ لَـمْ يُمْـلَلِ
إنّ لى قَلْـــباً بِحُـــبَّيهِ غَنىٌّ مَـلِى
جِبْرَئِيلْ سَيِّدُ أمْـلاكِ السَّـمَاءِ الْجَلِيلْ
وَالخَلِيلْ أفْضَلُ رُسْلِ اللهِ مِـنْ كُلِّ جِيلْ
لا مَثِيلْ مِنْ ذَا وذَا لِأحْـمَدٍ لامَـثِيلْ
وَاشْمَلِ سِوَاهُمَا فِى العُـــلْوِ وَالأسْـفَلِ
مَأمَلِى مَـا فَوْقَهُ إلا الإلَـــهُ الْعَـلِى
الكَلِيمْ أجَابَهُ بِلنْ تَـرَانِى الْكَـــرِيمْ
وَالنَعِيمْ بِـــرُؤيَةِ الرَّحْمنِ لِابْنِ الحَطِيمْ
وَالْكَرِيمْ قَـــدْ خَصَّه بِكُلِّ فَضْلٍ عَظِيمْ
هَاتِ لِى كَالمُـصْطَفَى فِى فَضْلِهِ الأكْمَلِ
وَارْحَلِ لِلعُلو مَـــهْمَا شِئْتَ أو فَانْزِلِ
الْمَسِيحْ يَقُولُ أمّ وا ذَا المَـقَامِ الرَّجِيحْ
فِى الصَّحِيحْ يَسْجُدُ للّهِ بِحَـــمْدٍ فَـــسِيحْ
يسْتَمِيحْ يُجِيبُهُ الْمَوْلَى بِـــقَوْلٍ فَصِيحْ
أقْبِلِ وَاشْفَعْ بِمَـــنْ تَخْتَـــارُهُ أقْبَلِ
وَاسْأَلِ أعْطِيكَ مَهْـمَا شِئْتَ مِنْ مَأمَلِ

لَنْ تَرَى مِثلَ حَبِـــيبِ اللهِ بَيْنَ الوَرَى
مَا بَرَا نَظِيرَهُ مَـــوْلاهُ فِيمَنْ بَـــرَا
قَدْ جَرَى فِى الكَوْنِ مِنْ آياتِهِ مَا جَرَى
إصْغِ لِى أهْدِيكَ لِلآذَانِ خَـــيْرَ الْحُلِى
واجْتَلِ مِنْ آيِهِ بَدْرَ الـــرَّشَادِ الجَلِى
كَمْ وَكَمْ أحْـــيَا بِـــهِ مُرْسِلُهُ مِنْ أمَمْ
وَانْتقَمْ مِنْ قَادَةِ الشِّرْكِ فَصَارُوا رِمَمْ
وَانْقَصَمْ بِسَيْفِهِ المَشْهُورِ تِلـكَ الظُّلَمْ
إذْ جُلِى نُورُ الْهُدَى مِنْ دِيـنِهِ واجْتُلِى
وَاسْأَلِ إنْ شِئتَ مِنْ قُرْآنِـــهِ الْمُنزَلِ
يَا أمِينْ يَا رَحْمَةَ اللهِ إلَى العَـــالَمِينْ
خَيْرُ دِينْ دِينُكَ دِينُ الحَق حَق مـبِينْ
لا أدِينْ بِغَيْرِهِ وَاللهُ نِـــعْمَ المُـــعِينْ
سَلْهُ لِى خِتَامَ خَيْرٍ حَـــسَنٍ أكْـــمَلِ
وَاجْمِلِ أهْلِى وأحْبَابِى وَمَنْ يَدْعُ لِى

## أفكار الشاعر

تنبعث أفكار الشاعر عن عقيدته الدينيّة والإسلاميّة، كما هو الحال فى كلّ موشحاته، وعَمَدَ فيها إلى مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ويذكر مناقبه مشيراً إلى الآيات الإلهيّة والكلام النبوى الشريف، ويبيّن فضائل النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره المثل الأعلى، وأفضل الخلق ثمّ يُشير إلى معجزات نبينا الأكرم وقد اختص الله بمعجزاته أنبياءه تأييداً لما أرسلهم به من تبليغ رسالته الوحدانيّة والألوهيّة، ومن معجزات محمد صلى الله وعليه وآله التى أشار إليها الشاعر منها ليلة المعراج، والله سبحانه وتعالى أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم زمناً من الليل بجسده وروحه، يقظة لامناماً، من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس

الذى بارک الله حوله بالزرع والأثمار وغير ذلک، ويصل النبى الأكرم (ص) إلى مقام القرب الإلهى الذى أعلى من كل الخلق والملائكة، ومعجزة القرآن الذى أنزله الله إلى نبيّه هدىً ورحمةً للمؤمنين، وسبباً وذريعةً لهداية الناس أجمعين، وانهدام قادة الكفر والشرک، وفى هذه الموشحة يشير الشاعر إلى قصة موسى عليه السلام عندما يدعو الله سبحانه وتعالى، لرؤيته قائلاً: ﴿قال ربّ أرِنِى أنظُر إليک قال لن ترانى ولكن انْظُرْ إلَى الجَبَلِ فَإن استَقَرَّ مَكَانَه فَسَوفَ تَرانِى فَلَمّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وخَرَّ موسى صَعِقَا﴾ (الأعراف: ١۴٣)

ويتحدث الشاعر عن شفاعة النبى الأكرم (ص) فى يوم الحشر، اليوم الذى كلّ الناس وحتى الأنبياءُ، يفكّرون كيف يستطيعون أن يطلقوا أنفسهم من عذاب الله عز وجل، بينما رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ويتمنّى من الله سبحانه وتعالى شفاعة أمتِه، وفى نهاية موشحته يقرُّ بأنّه لايعتنقُ أىَّ دينٍ آخر إلاّ دين محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وهو دين الإسلام، ويتمنّى من الله تبارک وتعالى لنفسهِ ولأهلِه، عاقبة الخير فى الدنيا والآخرة.



## عواطف الشاعر

عندما نخوض فى هذه الموشحة الجميلة سنواجه منذ البداية، كلمات الرحمة والمحبة والشوق التى تنبعث عن عواطف الشاعر الجليل لنبيّه الأكرم (ص)، فلذلک يحثّ إلى مدح النبىّ وبيان فضائله، وتعنى الرحمة أيضاً المودة، كما قال تعالى: ﴿وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ (الحديد: ٢٧)

وأما المحبة فهى إرادة ما تراه أو تظنّه خيراً، وهى على ثلاثة أوجه: محبة للذة كمحبة الرجل المرأة... ومحبة للنفع كمحبة شىء يُنتفع به... ومحبة للفضل كمحبة الناس، رسولهم أو كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض. «وللمحبة طرفان محبة الله تعالى للعبد إنعامه عليه، ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه.» (الأصفهانى، لاتا: ١٠۵)

وما هى إلاّ مشاعر صادقة للنبى الأكرم (ص) تنبع من القلب الطاهر لتسيل على القلوب العطشى لترويهم حباً وحناناً وعطفاً.

## عنصر الخيال

استعمل الشاعر للتأثير الكثير فى نفوس السامعين والقرّاء البديعيات كالجناس والطباق، كما نراه فى قوله: «بين، علا والعلا؛ سما والسما؛ انتمى ونما، جناس اشتقاق وبين تمين والعالمين، أمل لى ويملل، ترى والورى، جناس مردوف، وبين المعين والقرين، الخليل وجيل، جناس متوّج، وبين أقبِلِ وأقبَلِ جناس محّرف، وبين مابَرَا وبَرَا، جناس السلب موجودٌ.

وفى بعض الأبيات يستعمل من الطباق "كالخاتم والأوّل، أجمِلِ وفصِّلِ، العلو والأسفل" ويبرز الشاعر العاطفة فى ثوبها الجديد، ويُجلّيها بوضوح تام، راسماً مشاعره وأحاسيسه بصورة قويّة قادرة على نقل المشاهد (الصور) إلى وجدان المستمع أو القارئ كما أدركها الأديب نفسُه، فحين تُظهر محاسن النبى الأكرم (ص) وتسمعها الآذان بأنغامها الموسيقيّة الموزنة، تؤثر فى نفوس السامعين. ومن أنواع الصور المستخدمة فى هذه الموشحة، الاستعارة ولها الفضل الأكبر فى التصوير الفنى للعاطفة وانتقالها من ضمير الأديب إلى المخاطبين والقرّاء، والاستعارة المكنية على سبيل المثال فى أرو لى مدح النبى، حيث شبّه مدح النبى إلى الخمر، ثم حُذف المشبه به، وجاء من لوازمه وهو فعل إرو، وفى «قد جرى فى الكون من آياته ما جرى» قد شبّه الشاعر آيات الممدوح بالنهر، ثم حُذف المشبه به وبقى من لوازمه وهو فعل «جرى».

والاستعارة المصرحة فى «كأس الصفا من حبّة وبدر الرشاد الجلى ونور الهدى». واستعمل الشاعر هناك من التشبيهات والكنايات فمثلاً قوله: «بطرف نما» كناية عن البصيرة و«أحيا بِهِ مُرسلُه من أمم» كناية عن يقظة وانتباه الأمم من الغفلة بواسطة نبيّهم.

## موسيقى الشعر

اختار الشاعر فى هذه الموشحة، بحر السريع الذى يناسب مع غرضه مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وأكثر فى استعمال الجناس والطباق، لإنجاز الموسيقى والصوت والحنين عن طريق تشابه الحروف، واستعمل من الألفاظ الفصيحة والسهلة لإظهار

أحاسيسه وعواطفه.

## النتيجة

حب النبی صلی الله عليه وآله وسلم وذوی القربی من لوازم الإيمان والعقيدة، ومن خصائص الحب أن يظهر أثره على جسم الإنسان وملامحه، وعلى قوله وفعله بصورة مشهودة وملموسة، كما نراه فی موشحات يوسف بن إسماعيل النبهانی التی عمد فيها إلى مدح النبی (ص) وذكر مناقبه مشيراً إلى الآيات الإلهيّة، والكلام النبوی الشريف ولا شک أنَّ هذه المحبة ومظاهرها عين التوحيد والإقرار بعبودية الله تعالى ووحدانيته.

## المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.*

انوار، سيداميرمحمود. «تأثير الإسلام على أدب الرثاء». فصلية دراسات الأدب المعاصر. صيف ١٣٨٩ش. العدد٧. صص ١٩-٤٠.

الإصفهانی. لاتا. *المفردات*. طهران: المكتبة المرتضوية.

درنيقة. ١٩٩٦م. *معجم أعلام شعراء المدح النبوی*. بيروت: دار المكتبة الهلال.

الزركلی، خيرالدين. لاتا. *الأعلام*. بيروت: دار العلم للملايين.

كحالة، عمر رضا. ١٩٩٣م. *معجم المؤلفين*. مؤسسة الرسالة.

النبهانی، يوسف. ١٣١٢ق. *الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية*. بيروت: دارالفكر.

النبهانی، يوسف. ١٣٢٠ق. *المجموعة النبهانية فی المدائح النبوية مع حاشيتها*. بيروت: لانا.